

سيمانيات الأهواء

محمد الداھي / المغرب

Semiotics of Passions

Muhammad dahi

*Morocco University, Mohammed (V) Rabat Agdel Faculte des Lettres et des Sciences Humaine
Email: dahi53@hotmail.com*

*Received: 12 Nov 2012; Revised :9 Jan- 20 Feb 2013; Accepted: 23 Feb 2013
Published online: 1 May 2013*

Abstract: Arousing sadness or provoking happiness, causing problems or avoiding them, boosting the human will or hindering it, passions engage philosophers, scientists of ethics, and men of letters. The history of semiotics reveals that specialists in the field have been concerned with the role of sensation in achieving narrative programs, transforming from one situation to another and consolidating man's interaction, active or passive, with his milieu. Passion is a key element of action or recalling its details (players are encouraged to win their match or regretted their loss). Passion provides one with the necessary energy to meet expectations (Passion relates to what is going to happen) or he undergoes an ethical evaluation to identify his weaknesses (Passion relates to what took place). Also, in all emotional situations, the body plays a significant role in forming the meaning (The body senses and perceives what surrounds it) and in embodying what is painful or delightful for it.

In their co-authored book, *The Semiotics of Passions: From States of Affairs to States of Feeling*, A. J. Greimas and J. Fontanille are concerned with formulating a semiotic enterprise of passion or sensation that is independent (Their enterprise encompasses a number of notions that indicate the independence of emotional dimensions of a discourse and compose a standard grammar of passions). Formulated by the Semiotic Linguistic Group, widely known as the Parisian School, over years, theory of passion is to be reviewed in terms of three domains, epistemology, theory, and application.

Keywords: Semiotics, linguistics, philosophy, philosophy of ethics.

سيميات الأهواء

محمد الدا هي / جامعة محمد الخامس، الرباط

تقديم

دورا كبيرا في تحقق المعنى (جسد يحس بما يكتنفه ويدركه)، وتجسيد ما هو مؤلم للذات أو ما هو سار لها. إن حرص أليجيردا كريماص وجاك فونتاني، في كتابهما المشترك²، على صياغة مشروع سيميائية الهوى أو الإحساس على نحو مستقل بذاته (أي يتوفر على عدة مفاهيم خاصة به ومنسجمة تقرر - أساسا - باستقلالية البعد الانفعالي للخطاب، وبالتشبيد النسقي للتدلال الاستهوائي *la sémiotique du phorique*، وإنجاز نحو يفضي إلى الخطاطة الاستهوائية المعيارية)³، لم يحل دون تأكيد مدى تفاعله وتكامله مع النظرية السيميائية للعمل في إطار ما يصطلحان عليه بـ "الوجود السيميائي المتجانس". لقد كانت نظرية الأهواء، عموما، ثمرة سنين من العمل المتواصل اضطلعت به الجماعة السيميائية

شغلت الأهواء¹ الفلاسفة وعلماء الأخلاق والأدباء بما لها من دور في إثارة المباحج أو الأحزان، وحدوث أزمات أو تفاديهما، و شحذ إرادة الإنسان أو تعطيلها. ومن خلال المسار التاريخي للنظرية السيميائية يتضح أن السيميائيين، بدورهم وإن من منظور مختلف، اهتموا بدور الإحساس في تحقيق البرامج الحكائية، والانتقال من حال إلى آخر، وتوطيد تفاعل الإنسان، أكان إيجابيا أم سلبيا، مع محيطه. يعد الهوى، بحكم تشبث السيميائيين بـ "النظرة الجامعة والمتسقة" عنصرا أساسيا في إحداث الفعل (على نحو حفز اللاعبين على الانتصار في المباراة) أو استرجاع تفاصيله (الندامة على الهزيمة)، ومدته بالطاقة الانفعالية اللازمة حتى يكون في مستوى الآمال المعلقة عليه (ما يرتبط بما سيحدث) أو يخضع للتقويم الأخلاقي لتبيين نواقصه (ما يتعلق بما حدث). ويؤدي الجسد، في الحالات الانفعالية جميعها،

² Algirdas Julien Greimas et Jaques Fontanille, *Sémiotique des passions: Des états de chose aux états d'âme*, Seuil 1991.

³ انظر في هذا الصدد: C. Wiktorowicz, «Algirdas Julien Greimas et Jaques Fontanille, Sémiotique des passions: Des états de choses aux états d'âme», *Etudes littéraires*, vol. 25, n3,1993, pp. 153 et 155.

¹ نص المداخلة التي ألقيتها في "عيد الكتاب" بتطوان، يوم الثلاثاء 7 يونيو 2011.

القاموس الفرنسي. وهي، في مجملها، تحدد الأقسام الكبرى للحياة العاطفية) لبيان المفصل الكبرى لصنافة ممتدة في ثقافة برمتها (المدونة الثقافية الفرنسية)، وتميز الكون الاستهوائي الخاص بها (الخطابات الاجتماعية).

- استند صاحبها الكتاب إلى مرجعيات مختلفة (الظاهراتية، الكيمياء، الفيزياء، الرياضيات..). لفهم الإحساس بصفته طاقة (الفضاء التوتري) تدفع إلى العمل، فإما أن تؤدي إلى ما هو إيجابي في الوجود البشري (ما هو صالح) أو على العكس قد تقضي إلى ما هو سلبي (ما هو طالح). إن صهر المرجعيات المختلفة في بوتقة واحدة جعل الكتاب ذا حدين متباينين: يكمن أحدهما في صعوبة الغوص في يمّ الكتاب، الذي يتطلب إماما بالسباحة، وجهدا لتحمل الأمواج المتلاطمة، ووقتا كافيا لسبر أغواره سعيا إلى الانتفاع من درره ولأثنه. ويتمثل ثانيهما في الاستمتاع بما يستعرضه الكتاب عن معلومات ثرة ودقيقة تهم الحالة النفسية التي شغلت الكتاب والأدباء وعلماء النفس والأخلاق قرونا مضت. وحان الوقت لينكب عليها السيميائيون قصد الإمام بحالة الذات المؤهلة لإنتاج فعل ما (ما يقابله في سيميائية العمل : حالة العالم الذي تضطلع الذات بتغييره)، وبيان المعادلة الصورية بين حالتها الأشياء والنفس (خلق نوع من الانسجام بين الإحساسين الداخلي والخارجي).

ب-ملاءمة ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية⁴:

- أدرك صاحبها الكتاب أن الموضوع المطروق (سيميائية الأهواء) يهيم الثقافة الفرنسية وتمثلاتها، ولكنه قابل للتعميم على ثقافات أخرى شريطة احترام خصوصياتها. وهذا ما يحفز الباحثين العرب على استيعاب محتويات الكتاب، وإيجاد ما يعقلها في الثقافة العربية، واستكناه الأهواء من خلال أبعادها الاجتماعية (كيف

- اللسانية (المعروفة بمدرسة باريس) لمراجعة النظرية السيميائية "المعيارية" بالتركيز على ثلاثة مجالات تستأثر بالاهتمام أكثر، وهي: الابستمولوجية والنظرية والتطبيق.

أ-تكمين أهمية كتاب "سيميائيات الأهواء" في ما يلي:

- أن مؤلفيه انتبها إلى العلاقة المحسوسة والانفعالية التي تقيمها الذات مع نفسها ومع العالم الخارجي. وانبريا إلى دراسة الأهواء، بعدة مفاهيم سيميائية، لاستيعاب تنظيمها التركيبي والدلالي من جهة، وبيان شحنتها الانفعالية ودرجة كثافتها إبان تجسدها في شكل برامج مفترضة أو محققة من جهة ثانية. وعندما تتحقق في الخطاب، تصبح حمالة لدلالات معينة. ولا تكون لها دلالة إلا عندما تضطلع بها ذات تشعر بهوى ما. ويمكن، في هذا الصدد، أن يكون فردا (تتمثل في لغة فردية) أو جماعة (تتشخص في لغة جماعية).

- إن إعادة بناء الأهواء من المنظور السيميائي أفضت إلى صياغة نظرية دلالية منسجمة، تتميز باستقلالية البعد الانفعالي (يُضاف إلى البعدين النفعي والتداولي)، وبصوغ خطاطة استهوائية معيارية (أسوة بالخطاطة السردية المعيارية). ومع ذلك حرص كريماص وفونتاني على "الوجود السيميائي المتجانس" حتى تندمج نظرية الأهواء داخل النظرية السيميائية العامة، ويحصل التفاعل و التكامل فيما بينهما.

- إن كان الكتاب، في عمومها، محافظا على المكاسب النبوية، فهو يفتح آفاقا واعدة نحو الانفتاح على الإحياءات الثقافية والاجتماعية للأهواء (ما بصطلح عليه بالممارسة التلغظية). وهذا ما جعل المؤلفين يعدان القواميس استعمالات ثقافية تجسد موقف جماعة ما من الوجود، وتعلل تباين الأهواء واختلافها بالنظر إلى طبيعة الثقافات التي توّظرها، وتصدر أحكاما أخلاقية عليها. وفي هذا الصدد اعتمدا على مدونة استهوائية (تعريفات بمختلف تجليات الهوى في

⁴ كريماص وفونتاني، سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة وتقديم سعيد بركراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ط1، 2010.

عوامل الكينونة)، وإن كرسوا معظم جهدهم النظري والتطبيقي لإرساء "الأهلية الجبهة" للذات السردية وضمنها جهة الفعل لما لهما من دور في تحريك البرامج الحكائية وتغيير العالم بهدف تحقيق غايات وأهداف محددة. وإن لم تتبلور سيميائيات الأهواء إلا في العقود الأخيرة، فبوادرها الأولية كانت تطفو، بين الفينة والأخرى، في المسار السيميائي. ويمكن أن نمثل، على وجه الخصوص، بدراسة كريماص لـ "هوى" الغضب⁵ وبدراسة تخص "التكوين الجهي للكينونة"⁶.

يعيد السيميائيون النظر في تنظيم المسار التوليدي الذي يمثل حالة افتراضية ونشاطا قيد الإنجاز. ويعملون، بهذا الصنيع، على تصحيح مكامن الخلل وتعزيز مواطن القوة، حتى تغدو النظرية خطابا منسجما وشاملا. إن المنطقة الأكثر فاعلية في المسار التوليدي هي الفضاء الوسطي الذي يتموضع بين البنيتين السطحية (المكون الاستمولوجي) والعميقة (المكون الخطابية)، ويهم أساسا النمذجة السردية وتنظيمها العاملي أي ما يميز العامل بفعله وحده (وليس برواسبه النفسية)، وهو الشرط الأساس لتطوير سيميائية العمل.

يؤدي الجسد محفلا متوسطيا بين الإحساسين الداخلي والخارجي، ويضمن تفاعل الإنسان مع محيطه، ويجسد حركيا مجموع الأهواء التي تنتاب الإنسان أكانت مفرحة أم حزنة "جسد حاس، مدرك فاعل؛ جسد يعي كل الأدوار المتفرقة للذات، في تصلب وقفزة ونقل. جسد باعتباره سدا وتوقفا يقود إلى تجسيد مؤلم أو سعيد للذات" ص368. وتتخصص حركة الجسد خطابيا في شكل آثار تلفظية (ما تجسده التجليات الثقافية وإبجاءاتها إن على المستوى الجماعي (اللغة الجماعية) أو الفردي

تتصرف جماعة إزاء أهواء معينة؟) والفرديّة (كيف يجسد المبدع هوى معيناً في عالمه التخيلي؟).

- رغم صعوبة الكتاب استطاع د. سعيد بنكراد أن يبذل مجهودا محمودا لإيصال محتوياته إلى القارئ العربي. ومن علامات هذا المجهود الحرص على شعرية الترجمة (وفق ما يقصده دانييل - هنري باجو) التي تتمثل أساسا في إثبات مرفقات النصوص حتى تيسر القراءة وتضمن تفاعلها الإيجابي مع النص المترجم. ومن بين هذه المرفقات، التي تؤثر على تدخل المترجم في النص بهدف كتابة نص ثان أمله شروط التداول والتلقي (نقل النص الأصلي من سياق ثقافي إلى آخر)، نذكر أساسا: إعداد مقدمة مستفيضة للكتاب حول سيميائيات الأهواء، تخصيص ملحق للمصطلحات الأساسية، وضع حواش لتفسير عينة من المفاهيم وتعليل ما يقابلها في اللغة العربية، والإشارة إلى بعض المفاهيم التي يتعذر ترجمتها أو تدجينها في قالب العربي. فضلا عن ذلك حرص المترجم. سعيد بنكراد أيضا حرص على سلامة اللغة العربية نقاديا لأي تشويش قد يؤثر سلبا في تلقي الكتاب واستيعاب حملته النظرية التي تشي بالعمق والدقة والرصانة والاعتناص.

- سعى المترجم والناشر إلى نقل الخطاطات والترسيمات بعناية فائقة حرصا على إثبات كل عنصر في موضعه المناسب، وسعيا إلى إحكام توزيعها بصريا ومراعاة خصوصية اللغة العربية. وهو ما جعل الخطاطة أو الترسيم تؤدي وظيفتها المعرفية والبيداغوجية، وتسعف القارئ على معاينة كثير من الأفكار المجردة على نحو تكون فيه مجسدة بالعيان وميسرة بالمثل.

1- وساطة الجسد في الدخول إلى عالم المعنى:

كانت الأهواء، باستمرار، محط اهتمام النقاد والأدباء والفلاسفة لكونها تمس جانبا معقدا في دواخل الإنسان وفي علاقته مع العالم والأشياء. ولم يخرج السيميائيون عن هذا الركب سعيا إلى فهم الحالة النفسية بعدة مفاهيمية ملائمة (ما يهم

⁵ Algirdas Julien Greimas, «De la colère» in *Du Sens II*, Seuil, 1983 pp 245-255.

⁶ Algirdas Julien Greimas, «De la modalisation de l'être», op.cit. pp 93-102.

المرحة الأولى، التكافؤ، أما في المرحلة الثانية فيشخص القيمة.

3-الهوى والفعل:

إن الهوى شعور يدفع أو ينزع إلى الفعل. ويعد بمثابة أهلية تمكن من الفعل أي ما يسعف على الانتقال من إرادة الفعل إلى القدرة على الفعل. وهكذا يعد الكون الاستهوائي امتدادا للكون الجهي. وفي هذا الصدد يبدو من الضروري الاستعانة بتنظيم جهي للكينونة. وإن كان مستقلا عن الفعل المحتمل فهو يعتبر عدة جهية محددة للهوى بصفته أثرا معنويا. فهوى الاندفاع يعتبر طريقة في الفعل، ويشمل على "فائض جهي" (يجمع بين إرادة الفعل والقدرة على الفعل) يمكن من توقع الإرادة والقدرة والمرور إلى الفعل. يعد العناد حالة استعداد للفعل" دون الخوف من المعوقات. وفي هذه الحالة تكون الذات منفصلة عن موضوعها (جهة : معرفة عدم الكينونة)، ومتشككة من النجاح في مهمتها(القدرة على عدم الكينونة) ومصرة، في الآن نفسه، على إدراك مبتغاها(إرادة الكينونة). ورغم غياب إرادة الفعل بسبب المعوقات فإن العنيد لا يتخلى عن برنامجه (مشروع الفعل المحتمل). إن الأمر يتعلق إذن بفائض جهي هو الضامن لمواصلة الإنجاز. " وحضور هذا الفائض هو ما يفرض علينا صياغة عدة هوية من خلال حدود " تنظيم جهي للكينونة" لا من خلال حدود أهلية في أفق الفعل" ص115.

من خلال هذا المثال نتضح بعض المفارقات: تخرج " إرادة الفعل" عن "عدم القدرة على الفعل"، وتزداد قوة داخل تنظيم جهي للكينونة. وهو ما يقتضي الافتراض بوجود تركيبين يهيم أحدهما التركيب الجهي للفعل، ويخص ثانيهما التركيب الجهي الهوي. وفي حال هوى "العناد" تكون أهلية الفعل" مجرد صورة افتراضية أو تصورا "إن العنيد يريد أن يكون، داخل ما سميناه التصاور الهوي للعناد، "ذاك الذي يفعل"، وهو ما لا يعادل "يريد أن يفعل" ص116.

(اللغة الشخصية)) يمكن أن تخضع لتقويم أخلاقي لتثمينها (هوى الشجاعة) أو بخسها (هوى البخل). تخص الأهواء كينونة الذات لا فعلها. وحتى عندما تعمل الذات الهوية (أي عندما تنتقل من ذات الحالة إلى ذات فاعلة)، فهي تكون موجهة وفق جهة الكينونة. ولما يضطلع الجسد بالتوسط بين الحالتين (حالة الأشياء وحالة النفس)، فهو يسهم في إحداث نوع من الانسجام بينهما.

2-الكتلة الاستهوائية (الأريج المبهم):

إن عطر الأهواء ينبعث من تنظيم خطابي للبنيات الجهيية. وهي، في هذا الصدد، لا تخص الذوات وحدها، وإنما تسم الخطاب برمته. ويمكن أن تسقط (بوصفها أثارا سيميائية) سواء على الذوات أو على الموضوعات. تعيش الذات أفقا توتريا قبل إدراك مرادها أو عدم الحصول عليه. فقبل أن يتوله الأمير (في رواية أميرة كليف) بالآنسة دوشارتر، إبان لقائهما عند بائع المجوهرات) لم يكف عن التعبير عن مدى اندهاشه بما يحيط بها، أي أنه كان يعاني من حالة متوترة مستشرفا إمكانات حبه لها. إن ما يحدد قيمة المضامين الدلالية هو، دوما، من طبيعة أخرى (قيمة القيمة أو ظلها: عدد الذرات المضافة إلى تركيبية جسم آخر)، ويحتمل أن ينقل إلى ذات أخرى. ويتجسد هذا التكافؤ كما لو كان ظلا للقيمة أو انطبعا عنها. وتقدم رواية " السقوط لألبير كامو" صورة عن عالم دون قيم (عالم تنعدم فيه الثقة). إن القاضي / الثائب، كما صوره ألبير كامو، هو عامل توليفي يمارس، على الطريقة الكلية القديمة، التحقير المنظم والاستفزاز التهمي. إن المكافئ (الذي يشكل مجموعة الاستيثاق) يمنح عالم الأشياء صلابته. وبدون هذه الصلابة لن تكون للأشياء أية قيمة. إن الشخص نفسه يصادف في طريقه امرأة يائسة تلقي بنفسها في نهر السين، ولم يبادر بإنقاذها. يوحي هذا المشهد بانهييار عالم القيم الذي يعد صورة محتملة ومقلوبة للحادثة التي قوضت دعامات ضرورة الوجود الراهن، ويجسد، في

5-مدونة الغيرة:

درس كريماص وفونتاني الفصل الثاني من الكتاب نفسه "البخل" بوصفه هوى / موضوعا (علاقة البخل بما يملكه)، وأكبا، في الفصل الثالث، على دراسة الغيرة بصفقتها هوى بي ذاتيا (تنافس الغيور والغريم على المحبوبة). نستعرض مدونة الغيرة لبيان، على نحو مجمل وشامل، الغاية من دراسته سيميائيا.

أ- التمظهر المعجمي:

لما يكون الغيور في علاقة مع المحبوبة يتوطد هوى الخشية (مراقبة الغريم والسعي إلى إبعاده). وفي حال حدوث الأزمة الاستهوائية بينهما تتنامى لديه مشاعر الانتقام من خصمه. يفيد المعجم أن الغيور متعلق كثيرا بموضوعه القيمي ويكد من أجل الحفاظ عليه. وهكذا تقترن الغيرة لديه بالرغبة والحماص والحسد. إن وجود الغيور في فرجة أو مواجهة يوحي بأنه يتألم وهو يرى غيره يستمتع بالموضوع أو أنه يخاف ويرتاب من فقدانه. وتهم الفرجة الرباط الذي يلحم الغريم أو الذات بالموضوع المتنازع عليه؛ إن استمتع به أحدهما أضاعه الآخر.

ومن أجل تكوين فكرة عن "الغيرة" ينبغي أن نضعها في حضانة جملة من التظاهرات التي تبين مختلف العلائق والأبعاد الدلالية الاستهوائية التي تحتلها العدة العاملة المشخصة في الثالث (الغيور والغريم والمحبوبة). ومن ضمن هذه التظاهرات الغرام الذي يشمل الغرم والتنافس والتباري، ثم تمظهر التعلق الذي يستوعب أهواء من قبيل التعلق الشديد والحماص والامتلاك والحصر. ومن خلال السمات التوليدية للغيرة في القاموس يتبين ما يعترى الغيور من أهواء (على نحو الريبة والقلق والخشية) تحدث تشويشا استيثاقيا (ما يهيم الثقة المتبادلة بين الحبيبين). وهذا ما يعكس سلبا على المعطيات الأصلية للتعلق. إن التعلق يفترض الثقة التي تعطي معنى للحياة. ولما تتصدع هذه الثقة يفقد الغيور السيطرة

إن رغبة العنيد في أن ينتصر (إرادة الكينونة) تقتضي منه معرفة الكينونة من الناحية التركيبية. وهو، في هذه الحال، يدخل في صراع مع الآخرين. في حال هوى اليأس يتعذر حل الصراع، في حين أنه في حال العناد يُحل من خلال انتصار الذات. وما يميز بين الهويين أن "مقاومة الحاضر"، في العناد، تعمل لصالح انتشار المأل، في حين تكون غير حاضرة في هوى اليأس.

4-الهوى بين الاستعمالين الفردي والجماعي:

إن الكون الهوي للفردي يعبر عن خصوصيته، ويجلي "أسطوره الشخصية" (وفق شارل موران) فيما يخص تثمين أهواء أو بخسها. تعلم كي دي موباصان من مدرسة شوينهاور أن الإرادة هي أساس مأساة الإنسان. فعندما تكون الرغبة غير مشبعة ينتج عنها الضجر والازدراء، فيتولد الإحباط والعذاب. وهكذا فعادة ما ترتبط الإرادة عند موباصان باللامعنى والعبث والتناحر. يستفيد موباصان من شوينهاور، وينضاف إلى جيل من الكتاب الذين تأثروا به. ويطبق لويس أراغون على اليأس نسفا فكريا أكثر عمومية. فهو يأس تاريخي ورمزي وسياسي يفضي إلى تدمير اليائسين من الحكام، وإن ظلوا أوفياء للتعاقد الذي يربطهم بالقيم الملكية.. ونعابن، من المثال الأول، أن صنافة فردية (نسق فلسفي) تتحول إلى صنافة اجتماعية محايدة. ونلاحظ من خلال المثال الثاني أن صنافة اجتماعية (وهي إيديولوجية تيار فكري بأكمله) تتحول إلى صنافة اجتماعية محايدة. "إن هذه التغييرات في المواقع تقتضي منهجا ممكنا لدراسة العلاقات بين النص والنص المحيط والسياق: فعندما تتم عملية تحديد الثوابت والمعابير التي تشتغل بها الصنافات الإيحائية، وبعد أن يتم تمييز مختلف الفصائل ومختلف المستويات التي تتحرك ضمنها، سيكون بإمكاننا، من هذه الزاوية، تصور الدراسة "التكوينية" للنصوص من خلال التحولات بين مختلف الصنافات" ص149.

على الموضوع والاستمتاع به، ويخفق في خوض المعارك مع غريمه.

ب- البناء التركيبي للغيرة:

يعد القلق مكوناً من المكونات التركيبية للغيرة. ويُعبر عنه، وفق ما يشغله من مواقع تركيبية، إما بالريبة لما يظهر الغريم على حلبة المنافسة، وإما من خلال الخشية عندما يكون الحدث المؤلم متوقعا. إن القلق ليس انفعالا عابرا وإنما هو حالة مترددة. وقد يفضي إلى أزمة استهوائية عندما يفترن بالشك. ولا تنتمي الغيرة إلى نسق مصغر⁷ قابل للاستيعابها في كليتها وشموليتها، وإنما تنتسب إلى عدة تظاهرات بسبب تنظيمها المعقد. هناك نسق التعلق ونسق الحصر ونسق البنات السجالية التعاقدية ونسق الأهواء الاستثنائية وغيرها. فالغيرة ليست بالهوى المعزول فحسب، ذلك أنها تنتمي إلى أنساق مصغرة حيث لا تشكل سوى موقع من بين مواقع أخرى" ص 267. وهذا يبين أنه ينبغي تجنب دراسة الأهواء على نحو منعزل، وبالتالي يجب أن يتعامل معها بوصفها "منظومة استهوائية". استعان صاحبها الكتاب بخطاب الأخلاقيين من أجل استكشاف معاني الغيرة، وبيان تصاور المحبوبة (مختلف المواقع المفترضة التي تشغلها من خلال الصراع المحتدم بين المتنافسين)، والانتقال من الجمال (ما يتوفر عليه النص من سمات جمالية وتخيلات) إلى الأخلاق (إصدار أحكام أخلاقية واجتماعية حول الأهواء). ويمكن أن نمثل بملفوظ مقتطف من كتاب لايروبير "الأمزجة": "الغيرة اعتراف مكره بالاستحقاق". يحصل الانتهاء الاستثنائي (فقدان الثقة) لما يدخل المنافس إلى حلبة المنافسة والصراع للظفر بالموضوع. ومن خلال موقع الغيرة في الملفوظ يتضح أن الغريم يتكافأ مع

الغيور في قدرته على استحقاق الموضوع المتنازع عليه وامتلاكه. ويقدر ما يخشى الغيور استيلاء الآخر على ما يعتبره في عداد ملكيته بقدر ما يعتقد أن منافسه يستحق الموضوع. يضع "الخوف من الفقد" إرسالية صريحة، و"البوح بالاستحقاق" إرسالية ضمنية مفترضة. ولكن البوح مفروض، بمعنى آخر، لأنه يسير في الاتجاه المضاد لمصالح الغيور: فالاعتراف بأحقية الغريم معناه مضاعفة حظوظ الآخر بالاعتراف له بالحق في موضوع القيمة" ص 277. وبموازاة ذلك يفيد البوح اعتراف الغيور بوجود خلل ما في علاقته بالمحبوبة، ويفترض الإقرار بدونيته في آخر المطاف.

ج- التقويم الأخلاقي:

نعابن آثار الضغط الاجتماعي على الموقع الذي يشغله الغيور. يمكن أن نتصور حكما إيجابيا يبين مدى استعداد الغيور على الدفاع عن تعلقه بالمحبوبة رغم أنف خصمه. وبالمقابل ينصب الحكم السلبي على تراجع الغيور عن المنافسة وعدم قدرته على ركوب غواربها. وفي هذه الحالة يحتمي الغيور بالأزمة الاستهوائية أو الاستثنائية (الشك). وهكذا يتضح أن شفرات أخلاقية تتقاطع فيما بينها داخل تظاهر الغيرة، ومن ضمنها نذكر:

- نُحشر أخلاق الاستحقاق في شؤون العشاق، وهذا يقتضي البرهنة على وجود نسق قيمي يضبط الصدمات بينهم، ويسعفهم على حسن استعمال السجال. ويفترض، في هذا الصدد، أن يتصوروا "الشرف" الذي يتيح لهم تسوية خلافاتهم بشكل نهائي.

- ينجم الوفاء عن حصرية التعلق التي تستجيب لمقتضيات أخلاقية، وهو ما يعزز لدى الغيور معيار الملكية الحصرية.

- ينبغي للعلاقة الغرامية، في الأخلاق الكلاسيكية، أن تظل سرية. وفي حال افتضاح خيوطها تصبح علامة على الخجل والفضيحة و مثار إدانة (الحكم الأخلاقي).

⁷ يعتبر المقطعان الكبير (شكل من أشكال المنظومة الانفعالية) والمصغر (بهم، في المقام الأول، التسلسلات الجبهة الخاصة بالأزمة الهوائية) بمثابة خطاطين معياريين. وتضاف إليهما الأنماط الثلاثية الكبرى لبناء العوالم الهوائية الإيجانية (التكوين ثم التحسيس ثم التقويم الأخلاقي). يحتكم إلى تداخل المقطعين المصغر والمكبر (انظر الخطاطة ص 316) لبيان ما إن انضبط هو "الغيرة" لما هو معياري (اللغة الاجتماعية) أو انزاح عنه في شكل متغيرات افتراضية (اللغة الفردية).

د-التخطيب:

والتردد من الشروط القلبية (القوى المتماسكة في الكون التوتري) إلى مستوى الخطاب (يصبح النص - عند نهاية المسار التوليدي - متغيرا وتجليا للسطح. لا شيء أكثر عمقا من النص (فرنسوا راسيني). وهذا ما عبر عنه أحد علماء الأخلاق بهذه العبارة الموحية: لا شيء، في الإنسان، أكثر عمقا من البشرية).

اعتمد صاحبنا الكتاب على المدونة الثقافية الفرنسية التي تقدم تصورا خاصا للعالم الاستهوائي، وترسم حدودا فاصلة بين اللغتين الفردية والجماعية. وسعى إلى بيان مدى انضباط التجليات الاستهوائية إلى نماذج معيارية (الثوابت الثقافية) أو تمردا عليها (المتغيرات المحتملة). ويحتاج الكتاب المترجم إلى تشخيص تجارب مماثلة لإبراز خصوصيات بعض الأهواء في الثقافة العربية، وتقويمها من المنظور الأخلاقي⁸. وفي المرحلة الموالية، يستحسن أن تستخلص طبيعة العلاقة التي تجمع مدونة ثقافية وظيفية مع مثلثيتها التي تحظى بمبسم كوني.

لقد أسعفت دراسة الهوى المضمن في الخطاب في بيان عملية استحضاره الفردي والجماعي سواء إلى مستوى التحسيس أو التقويم الأخلاقي. وفي هذا المضمار يستند مؤلفا الكتاب على نماذج وترسيمات معيارية (ومن ضمنها أساسا المقطع المكبر الذي يستوعب ما يهيم الأزمنة الاستهوائية في عدة انفعالية) لبيان مدى انضباط هوى ما لها أو انزياحها عنها (الاشتقاقات الممكنة المترتبة على متغيرات افتراضية) تبعا للأنماط الثلاثية الكبرى التي تُعنى ببناء الأهواء الإيحائية (التكون، ثم التحسيس، ثم التقويم الأخلاقي). تكمن معيارية المقطع المكبر في مدى اشتغال الافتراضات على الوجه المطلوب؛ إن انقضى افتراض فإن المقطع الاستهوائي يتوقف مفضيا إلى أهواء لا تنتسب إلى مظهر "الغيرة". ويمكن أن نستدل على هذا الانحراف الاستهوائي بمثل من أمثلة كثيرة يحفل بها مسرح راسين. "إن أنتيوشوس عاشق منهك، وتعلقه أحادي (وفق نمط "هبة الإيمان")، وبما أنه لم يحصل أبدا على الحق في الأمل، فإنه لا يمكن أن يكون غيورا" ص 327.

المراجع**المراجع العربية:**

- كريماس وفونتاني، سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ط1، 2010.
- محمد الداوي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، منشورات رؤيا، القاهرة، ط1، 2009.

وتتحول خشية الغيور (الخوف الاستباقي من فقدان المحبوبة)، عند بروست، إلى أمل. وبالمقابل يصبح البغض (الأسى الاسترجاعي من فقد المحبوبة) أمانا وراحة.

لقد سعيت، من خلال هذه المداخلة المقتضية، أن أبين مدى ملاءمة الكتاب المترجم إلى اللغة العربية، وتقاديت الدخول في تفاصيل محتوياته وفرضياته، وأرجأت إبداء ملاحظات على بعض مفاصله سعيا إلى تقديم جملة من المفاتيح المسعفة على فهمه واستيعابه. حاول كريماس وفونتاني، في هذا الكتاب، إبراز دور الجسد (التجسيد) في تفاعل الإنسان مع محيطه إيجابا (السعادة) أو سلبا (الألم)، والانتقال من الهوى إلى فعل سابق (ما نجم عنه الندم) أو إلى فعل لاحق (ما يترتب على التهيج والتحسيس)،

⁸ ما حاولنا إبرازه في تحليل هوى " الحب" في رواية الحي الخلفي لمحمد زفزاف ثم هوى "الغيرة" في رواية الضوء الهارب لمحمد براءة. انظر: محمد الداوي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، منشورات رؤيا، القاهرة، ط1، 2009.

états de chose aux états d'âme, Seuil
1991.

- Wiktorowicz (C.) , «Algirdas Julien Greimas et Jaques Fontanille, Sémiotique des passions, Des états de chose aux états d'âme», *Etudes littéraires*, vol. 25, n 3, 1993.

المراجع الأجنبية:

- Greimas (Algirdas Julien), «De la colère» in *Du sens II*, Seuil, 1983.
- Greimas (Algirdas Julien), «De la modalisation de l'être», *Du Sens II*.
- Greimas (Algirdas Julien) et Fontanille (Jaques), *Sémiotique des passions: Des*



